﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾ [النازعات: 6 - 14]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تعظيم الملائكة وأعمالها توطئةٌ لتهويل يوم البعث

لمّا بيّنتِ الآيات السّابقة ما أقسم الله به من الملائكة وأفعالها العظيمة، التي تدل على كمال قدرته في إنفاذ حكمه وقضائه في الحياة الدُّنيا؛ ناسب الانتقال إلى ذكر يوم القيامة وأهواله؛ ليُبيّن أن هذه الأقسام ما هي إلا تمهيد لهذا اليوم العظيم، فالله سبحانه أقسم بقدرته على نزع الأرواح والتصرف في شؤون الكون؛ ليؤكد أن قدرته على البعث والنشور أعظم وأجل، وأن هذا اليوم واقعٌ لا محالة؛ لأنّ النّفوس المحسوسات نزاعة، فالغائبات عندها منسيّة مُضاعة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: رَجَفَ الشيءُ يَرْجُفُ رَجْفًا ورَجَفانًا، كما ترجُفُ الشَّجرة؛ إذا رَجَّفَتْها الريح، ورَجَفَت الأرْضُ؛ إذا تَزَلْزَلَت، وقال الله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الأرْض تَرْجُفُ، تَتَحَرك حركةً شديدة، وهي الزَّلْزَلة[2]، والمراد به في الآية الكريمة: الاضطراب والزّلزال الشّديد، وهي الصّيحة الأولى التي يميت بها الخلائق[3]، فهي صيحة عظيمة فيها تردّد، واضطراب كالرّعد[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 222.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (رجف).
(3) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 147.
(4) الواحدي، البسيط: 23/ 172.

2) ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: (ردف) أصلٌ يدلّ على اتّباع الشّيء، فالتّرادف: التّتابع، والرّديف: الذي يرادفك[1]، وما تَبِعَ شيئًا فهو رَدِفُه، وإذا تتابع شيءٌ خَلْف شيءٍ؛ فهو التّرادُف، والجميعُ: الرُّدافَى[2]، ويُقالُ: جاءَ القَومُ رُدافَى، أي: بَعْضُهُم يَتْبَعُ بَعْضًا[3]، والمراد به في الآية الكريمة: النّفخة الثّانية التي فيها البعث، ردفت النّفخة الأولى[4].

3) ﴿وَاجِفَةٌ﴾: أصل (وجف) يدلّ على خِفّة حركة الشّيء ومباعدته مقرّه، ومن خفّة الحركة: وجَفَ القلبُ: خفق من الخوف[5]، ووجف الشّيء، أي: اضطرب، وقلبٌ واجِفٌ[6]، قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، أي: مضطربة[7]، والمراد به في الآية الكريمة: خائفة، شديدة الاضطراب[8].

4) ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾: (حفر) أصلٌ يدلّ على أوّل الأمر[9]، يقال: رجع فلان في حافرته، وإلى حافرته، أي: في الطريق التي جاء فيها، ثم عبر به عن الرجوع إلى الحالة الأولى[10]، والحافِرة: العَوْدة في الشيء حتى يُرَدَّ آخره على أوّله، وقوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾، أي: في الخَلْق الأول بعد ما نموتُ كما كُنّا[11]، والمراد به في الآية الكريمة: أوّل أمرنا، أي: إلى الحياة[12].

5) ﴿نَّخِرَةً﴾: (نخر) أصلٌ يدلُّ على صوت من الأصوات، والنّخير: صوت يخرج من المنخرين، ومنه يُقال لهبوب الرّيح: نخرة، وكذلك الشّجرة النّخرة والعظم النّخر؛ لأنّ ذلك يتجوّف، فتدخله الرّيح، ويكون لها عند ذلك نخرة، أي: صوت، والنّخر: البالي[13]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ردف).
(2) الخليل، العين: (ردف).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ردف).
(4) الواحدي، البسيط: 23/ 173.
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وجف).
(6) الجوهري، الصحاح: (وجف).
(7) الراغب، المفردات: (وجف).
(8) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 195، وابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 449.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حفر).
(10) السمين، عمدة الحفاظ: (حفر).
(11) الخليل، العين: (حفر).
(12) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 148.
(13) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نخر).

ونَخِرَتِ الخَشَبةُ، أي: بَليَتْ، فاستَرْخَت حتى تَفَتَّتَتْ؛ إذا مُسَّتْ، وكذلك العظم الناخر[1]، وقوله تعالى: ﴿كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾، أي: بالية، من قولهم: نخرت الشّجرة، أي: بليت، ورُمّت حتّى سمع فيها نخير الرّيح، أي: صوتها[2]، والمراد به في الآية الكريمة: أنّها بالية فانية[3].

6) ﴿كَرَّةٌ﴾: (كرر) أصلٌ يدلّ على جمع وترديد، من ذلك الكَرُّ، والتَّكرار: وذلك رجوعك إلى الشيء والعود إليه والعطف عليه بعد المرة الأولى، ومنه كرَّ في الحرب، أي: رجع إليها[4]، ويقال: كررت عليه الحديث إذا رددته عليه[5]، والمراد به في الآية الكريمة: الرّجعة[6].

7) ﴿زَجْرَةٌ﴾: أصل (زجر) يدلُّ على انفصال أو ابتعاد بعنف وقوة[7]، يقال: زَجَرْتُ البعيرَ؛ حتى ثارَ، ومضى أزجُرُهُ زَجْرًا، وزَجَرْتُ فلانًا عن السّوء، فانزَجَرَ، وهو كالرَّدع للإنسان[8]، والزَّجْرُ: طرد بصوت، وقوله: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢﴾ [الصافات: 2]، أي: الملائكة التي تَزْجُرُ السّحاب[9]، وقوله تعالى في بعثه الموتى من قبورهم: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، فهي صيحة أو نفخة يقومون بها من القبور[10]، والصيحة هي معنى اللفظة في الآية الكريمة[11].

8) ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: (سهر) أصلٌ يدلّ على الأرق، وهو ذهاب النّوم، يُقال: سهر يسهر سهرًا[12]، والسّاهرةُ: وجهُ الأرضِ العريضةِ البسيطة، وقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ أي: على وجَه الأرض[13]، يعني: أنهم يخرجون من بطنها إلى ظهرها، وسُمّيت الأرض ساهرة؛ لأنّ نوم النّاس وسهرهم عليها[14]، وهي أرض القيامة[15].

(1) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (نخر).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (نخر).
(3) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 148.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كرّ)، والسّمين، عمدة الحفاظ: (كرر).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (كرر).
(6) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 449.
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زجر).
(8) الخليل، العين: (زجر).
(9) الراغب، المفردات: (زجر).
(10) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زجر).
(11) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 148.
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سهر).
(13) الخليل، العين: (سهر).
(14) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 148.
(15) الراغب، المفردات: (سهر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذِكْـرُ أهْـوالِ القيامةِ برهانٌ قـاطـعٌ على وقوعها

تُبيِّن الآيات الكريمة أنَّ البعث حقٌّ من خلال سرد أهوال القيامة، أي: لتُبعثنَّ يا كفّار مكّة يوم تتحرّك الأرض وتضطرب بالنّفخة الأولى لإماتة الأحياء حركة شديدة، وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم، ويموت كلُّ شيءٍ عليها بأمر الله ﷻ، ثمّ تتبعُ نفخةَ الإماتة نفخةُ الإحياء للبعث والحساب، في ذلك اليوم تكون قلوب الكفار مضطربة من شدّة الخوف، وأبصار أصحابها ذليلة من هول ما ترى، ثمّ ذكرتِ الآيات ما يقوله هؤلاء المكذبون بالبعث: أنُرَدُّ بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟ ويقولون: أنردُّ وقد صرنا عظامًا بالية؟ وقد كانوا قالوا: إنّ رجعتنا تلك ستكون خائبة كاذبة، فإنّما هي نفخة واحدة، فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة البدءِ بالظّرف:

يـوم البـعـث أهـوالٌ وخسفٌ راجفٌ

بعد ذكر القسم وجوابه المقدّر؛ أتبعه ببيان زمانه في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ فـ (يوم) هو ظرفٌ لجوابِ القَسَم المقدَّر، أي: لتُبعثنَّ يوم ترجفُ الأرض، والمعنى: أقسمت لكم بالأمور السّابقة، لتُبعثنّ يومَ ترجف الرّاجفة[2]، فدلَّ الظّرفُ على جواب القَسَم المحذوف، وفي ذكر الظّرف بعد القسم إثارةٌ للذّهنِ لمعرفةِ ما تعلّق به الظّرف، وفي البدءِ به تهويلٌ لشأنِ الزّمن الذي ستكون فيه تلك الأهوال.

بلاغة استعمال مفردة ﴿تَرْجُفُ﴾:

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ في قوله جلّ

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 71 - 72، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 583.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 71.

زلـزلـة السّـاعـة مـصـحـوبـة بصيحة عظيمة بـتـردّد يـنـزع الأرواح

شأنه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾؛ لدلالة الرّجفة على الحركة الشّديدة والزّلزلة العظيمة التي تقع في النّفخة الأولى[1]، والرّجفة لا تدلّ على الحركة حسب، بل تدلّ على تردّد واضطراب، كما في قولهم: رجف الرّعد، بمعنى تردّد هدهدته في السّحاب، فالرّاجفة تعني: صيحة عظيمة فيها تردد، واضطراب كالرّعد[2]، فالتّعبير بها أدلّ على شدّة الاضطراب وقوّته، أي: "تضطرب اضطرابًا كبيرًا مزعجًا"[3].

نكتة التّعبير بصيغة اسم الفاعل:

الرّاجفة راسخةُ الثُّبوتِ لأحداث الـقـيـامـة في الأرض

آثر النّظم الكريم التّعبير بالرّاجفة على صيغة اسم الفاعل في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾؛ للدّلالة على قوّة الاتّصاف بالرّجف، فهي ترجف القلوبَ وجميعَ الأشياء في الأرض والجبال، وتنزع النفوس من جميع أهل الأرض بحيث إنّها جديرة بأن توصف بالعراقة في الرّجف[4]، ولتجمع بين قوَّة الحدثِ ورسوخه واتّصافه بما يُشبه العَلَم.

بلاغة جناس الاشتقاق بين ﴿تَرۡجُفُ﴾، و﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾:

جناس الرجفة إيـقـاع يـهـزّ السامع بهول المشهد

جمع النّظم الجليل على طريقة الجناس الاشتقاقي بين الفعل ﴿تَرۡجُفُ﴾ واسم الفاعل ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾، فكلا اللّفظين من أصل واحد، وهو الجذر (رجف)، ويُبرز الجناس الاشتقاقي هنا جمالًا بلاغيًّا عميقًا؛ إذ يؤكد الفعل ﴿تَرۡجُفُ﴾ مع اسم الفاعل ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ على هول الحدث وقوته، ويرسّخ في الذّهن صورة الرّجفة الشّديدة، والمراد من ذلك إيقاع الوعظ بحيث يثير الانتباه إلى مضمون الخطاب.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 96.
(2) الواحدي، البسيط: 23/ 171 - 172.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 222.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 222.

بلاغة المجاز العقلي:

شـدّة النّـفخة وقـوّتـها تسبّب زلزلة الأجرام

أُسنِد فعل ﴿تَرۡجُفُ﴾ إلى الصّيحة في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ على طريقة المجاز العقليّ، أي: إنّها ترجف عندها الأجرام الساكنة، فتتحرك حركة شديدة وتزلزل زلزلة عظيمة، فأسند الحركة والاضطراب إلى الصّيحة والنّفخة؛ لأنّها سببه[1].

دلالة جملة الحال:

تصوير تعاقب الـرّجـفـتـين وتـحـقّـق وقوعهما

جاءت جملة الحال: ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ مسوقة لبيان حال الرّجفة، فلمّا ذكر الصيحة الأولى؛ أتبعها الثانية الدّالّة على حالها، والمراد بيان قربها قربًا معنويًّا، وللدّلالة على تحقّق الوقوع، فكلتا الصّيحتين في حكم يوم واحد، فصحّ مجيء الحال وإن بعد زمن النّفخة الثّانية من صاحب الحال، وهو النّفخة الأولى[2].

دلالة استعمال مفردة المتابعة:

لا أحـداث بين النّفختين تفصل بـعـضـهـا عـن بعض

آثر النّظم الكريم استعمال فعل ﴿تَتۡبَعُهَا﴾؛ لدلالته على التلوّ والقَفْو[3]؛ وذلك للدّلالة على أنّ النّفخة الأولى تتبعها ثانية، فالمراد أنّهما نفختان تأتي الثّانية عقب الأولى كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: 68][4]، فدلَّ فعل تتبعها على الاتزان في المتابعة المقصود منه إنفاذ أمر الله تعالى كما أمر، وأنّها تأتي ضمن نظام كونيٍّ استثنائيٍّ لا يحيد عن الأمر الإلهيّ، فاتباع الثانية للأولى قد يطول في ميزان المخلوق، لكنه في ميزان الله تعالى اتباعٌ وقفوٌ، أي: لا يوجد بينهما فاصل من الأحداث المتعلقة بالقيامة، بل هما حدثان متتابعان.

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 396.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 222 - 223.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبع).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 67.

بلاغة التّعبير بمفردة ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾:

بـيـان اتِّـصـاف الـثّـانـيـة بالراجفة، وأنَّها على إثر الأولى

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة الرّادفة في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾، وهو لفظ يعبّر عن الشيء المتأخر، أو الذي يأتي بعد شيء آخر[1]، فالرّجفة الثّانية تتبع الرّجفة الأولى، وتأتي بعدها[2]، وجاء التّعبير بصيغة اسم الفاعل؛ للدّلالة على قوّة الوصف وثبوته، وليؤكّد أنّ هذه الصّفة ثابتة في ذلك الحدث العظيم، فالرّادفة صفةٌ مستقلّةٌ وقائمةٌ بذاتها، موصوفةٌ بثبات التبعية للرّاجفة، وذلك ليترسّخ في ذهن السامع حتميَّة وقوع الحدث الثاني بعد الأوّل، وأنَّه من جنس الأول، فوصف الأول بالراجفة لأثره، ووصف الحدث الثاني بالرادفة؛ لبيان أمرين: الاتّصاف بالراجفة، وبيان أنّها تأتي على إثرها.

غرض تنكير لفظ القلوب:

نُكِّر لفظ القلوب في قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾ للتّكثير، وهو نكرةٌ لإرادة النّوعية[3]، أي: إنَّ القلوب الواجفة الخائفة هي أكثر قلوب ذلك الموقف.

نكتة التَّعبير بالظرفيَّة:

الـخـوف من أهـوال يـوم القيامة يغطّي عـلى كـل خـوف قبله

عبّر النّظم الجليل بالظّرف في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾؛ وذلك للدّلالة على أنّ خوف تلك القلوب في ذلك اليوم لا يخلو منه أحد[4]، فهو لبيان وقت وجل القلوب، فالمشركون في الدّنيا غافلون، ولا يخافون ما يوعدون به من سوء المصير، فالخوف يدبّ إلى تلك القلوب يوم القيامة، فيرون الحياة الآخرة بعد الأولى عيانًا، أي: قلوبُ النّاس يوم إذ ترجف الراجفة التي تتبعها الرادفة ستكون خائفة.

(1) الراغب، المفردات: (ردف).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 67.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 67، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 265.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 68.

نكتة تقديم الظّرف على ﴿وَاجِفَةٌ﴾:

القلوب الساهية اللاهية ستخاف يـقـيـنًـا يـوم الحساب

قُدِّم ذكرُ الظّرف في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ دون أن يقول: (قلوبٌ واجفة يومَئذٍ)؛ لتأكيد أنَّ وقوعَ الوجيف مقيّدٌ بذلك اليوم العظيم، ولبيان أهميّته وشدّة سيطرته على تلك القلوب، فقلوب الكافرين في الدّنيا آمنة مستقرة، لا تخاف، ولا تضطرب، فأكّد النّظم الكريم أنّ هذا الوجيف هو صفة ستلحقهم في ذلك اليوم لحوقًا أكيدًا.

بلاغة استعمال مفردة ﴿وَاجِفَةٌ﴾:

الوجيف يجمع بين الاضطراب الخارجي والخوف الباطني

آثر النّظم الكريم التّعبير بصفة الوجيف في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾؛ للجمع بين معنيي الخوف والاضطراب، فالواجفة: هي المضطربة من الخوف[1]، أي: مضطربة قلقة عن مقارّها لما تشاهد من عظيم الأهوال[2]، وفائدة هذه المفردة تصوير مظاهر الخوف، وبيان عمقه النّفسي.

بلاغة الخبر بعد الخبر:

برهان ذلّ البصر على وجيف القلب

على القول: إنَّ قوله تعالى: ﴿أَبْصَارُهَا﴾ خبرٌ ثانٍ، لقوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، فيكون الخبر قد زاد المبتدأ بيانًا بعد الخبر الأول، وذلك بتصوير حال أبصارها بالخشوع، فهو يزيد بيان حال أصحاب تلك القلوب والمراد من الوجيف[3].

سرّ تخصيص الأبصار بالذكر:

الاحتراس عن توجيه المعاني لغير المراد

خصَّ النظم الكريم الأبصار بالذّكر في قوله جلّ شأنه: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾؛ لأنَّها أوضح ما في الوجه في بيان شديد الخوف والاضطراب، فلمّا وصف النّظم الجليل القلوب بالاضطراب، ولم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 68.
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (وجف).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 68.

يبيّن سببه؛ فقد يكون ذلك عند السرور العظيم، وقد يكون عند الوجل الشّديد، فأخبر عنه بما يحقّق أنّه بسبب الذّلّ والهوان[1]، فهو بيانٌ شبيه بالاحتراس، كي لا يقع في مناكفة باطلة أهل الجحود والباطل.

بلاغة الإيجاز بالحذف:

الـذلّ البـادي فـي العـيـون ذاتـه المستقرّ في القلوب

حذف النّظم الجليل المضاف إليه في قوله جلّ شأنه: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾، والتّقدير: أبصار أصحابها خاشعة؛ وذلك للدّلالة على أنّ الذّلّ والخوف يظهران في الأبصار[2]، وهذا الحذف البليغ يربط خشوع الأبصار بالقلوب الواجفة ربطًا مباشرًا؛ ليصوّر أنّ الهول المستقر في الباطن هو ذاته الذي أذلّ الظاهر وأخضعه.

بلاغة استعمال مفردة الخشوع:

تجسيدُ الـذُّلِّ والانـكـسـار في خشوع الأبصار

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة الخشوع في قوله جلّ شأنه: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾؛ وذلك لأنّ حقيقة الخشوع: الخضوعُ والتّذلّل، وإسناد هذا الوصف، الذي هو هيئة للإنسان إلى الأبصار هو من باب المجاز الذي يرسم صورة حسية تظهر هيئة الانكسار بانخفاض النّظرات، وهيئة الهلع بالنّظر خفية من شدّة الخوف والفزع مما يشاهدونه من سوء المعاملة، فجاء هذا اللفظ أبلغ ما يكون في تجسيد الذّلّ الكامل والانكسار التام الذي يستحوذ عليهم في ذلك الموقف[3].

نكتة تقديم القلوب على الأبصار:

تـقـديـم العـلـل عـلـى نـتـائـجـهـا والأصـــول على فروعها

قدّم النّظم الجليل ذكرَ القلوب في قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ على ذكر الأبصار في قوله: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾؛ لأنّ الخوف في القلب، وأثره يظهر في الذّلّ البادي في العين، فقدّم الأصل على الفرع، والعلّة على النتيجة، فلولا خوف القلوب؛ ما خشعت أبصار أصحابها.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 224.
(2) تفسير المراغي: 30/ 25.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 68.

علَّة فصل جملة القول:

خـوفُ المشركين في الآخرةِ نتيجةُ اعـتـقـادِهـم في الدُّنيا

فصل النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾؛ لأنّها مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا؛ سيقت بعد جملة القسم وجوابه؛ لإفادة أن هؤلاء هم الذين سيكونون أصحاب القلوب الواجفة والأبصار الخاشعة يوم ترجف الراجفة. وهي صالحة أن تكون مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، فهي جواب عن سؤال يثيره القسم وما بعده من الوعيد، كأنّه قيل: لماذا وقع لهم ذلك؟ فأجيب بأنّهم يقولون ما يظهر تكذيب الوعيد والبعث[1].

دلالة التَّعبير بفعل القول مضارعًا:

خـوف الـقـلـوب نتيجة استمرار قـول الـباطـلِ في الدنيا

جاء التّعبير بفعل القول مضارعًا في قوله جلّ شأنه: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾؛ لحكاية ما يقوله الكافرون الذين يُنكرون البعث[2] في الدنيا، ويدلّ على أنّهم مستمرون على مقالتهم تلك، وأنّ قولهم متجدد فيهم لا يرعوون عنه، ويستجلب المضارع كذلك صورتهم وحالتهم، وهم يقولون ذلك للتّعجيب من سوء قولهم[3]، ويُبيِّن أنّهم لم يقولوا قولتهم تلك مرّةً أو مرّتين، بل هي ديدنهم الذي استمرّوا عليه، وبناءً عليه وجفت قلوبُهم، وخشعت أبصارهم.

غرضُ الاستفهام ودلالتُه:

تسجيل مواقف المستهزئين في الدُّنيا تعليل خـوفـهـم في الآخرة

الاستفهام في قوله جلّ شأنه: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ للإنكار[4]، وذلك لحكاية تعجّبهم وتهكّمهم من الرسول الذي يحدّثهم عن البعث، فالاستفهام يُؤذِن بأنّهم كانوا يقولون ذلك في شأن البعث على سبيل التّهكّم والتّعجّب[5]،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 68 - 69.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 97.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 69.
(4) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 449.
(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 266.

ودلَّ الاستفهام على قبحِ قيلهم، فهم لم يُنكروا حسب، بل تهكّموا، وتعجّبوا بقصد الاستهزاء والسُّخرية، وهو ما سجّله القرآن عليهم؛ لبيان انقلاب مشهد السُّرور المقترن بالاستهزاء، إلى مشهد الخوف المقترن بالإبلاس.

نكتة توالي المؤكّدات:

تعجّب المنكرين إيماءٌ إلى مدحِ المؤمنين

دخل الاستفهام التعجيبيّ: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ على جملة اسميّة مؤكَّدة بـ (إنَّ) وبلام الابتداء؛ وذلك لتقوية الخبر لإفادة أنَّهم أتَوا بما يفيد التعجب من الخبر ومن شدّة يقين المسلمين به، فهم يتعجبون من تصديق هذا الخبر فضلًا عن تحقيقه والإيقان به[1].

بلاغة اجتباء مفردة الردِّ:

مناسبة المفردة لأسلوب الاستفهام

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة مردود في قوله جلّ شأنه: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾؛ للدّلالة على إعادة إحيائهم بعد الموت، فهم أنكروا ذلك، وتعجّبوا منه متهكّمين بقائله، فالرَّدُّ يكون للأحياءِ، فكيف لميّت أن يُردَّ بعد أن يموت؟ وهذا وجه الإنكار التّعجبيّ، فكان اختيار مفردة (لَمَرْدودونَ) لزيادة غرض الاستفهام، فيتلاءم أسلوبُ الاستفهام مع دلالة المفردة، وجاء التّعبير بصيغة اسم المفعول المشتقّة من الفعل المبني للمفعول؛ للدّلالة على أنّ التّعجّبَ واقعٌ من الرّدِّ لذاته، أي: إنّنا نتعجّب بردّنا بعد الموت من أيّ كائنٍ كان[2].

بلاغة التعبير بحرف الظّرفية:

فهمُ المنكرون لواقع البعثِ قادهم إلى التّكذيب لا الإقرار

آثر النّظم الكريم استعمال حرف الظّرفيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ دون (إلى)، وذلك لبيان وجه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 69.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 224.

إنكارهم، وهو أن يكون الرَّدُّ في ذات الحافرةِ، فالدّفن في الأرض، والردُّ فيها لا إليها؛ لأنّهم لن يخرجوا منها، ثم يعودوا إليها، فاستعمال حرف الظرفية لوصف الواقع الذي فهمه المنكرون للبعث.

بلاغة استعمال مفردة ﴿ٱلۡحَافِرَةِ﴾:

الحافرة لفظ دالٌّ على معاني الحياة والحركة والموت

آثر النّظم الكريم التّعبير بمفردة ﴿ٱلۡحَافِرَةِ﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾؛ لما في هذا اللفظ من ثراء دلالي، فهو يدلّ على معانٍ متعدِّدة، فيُشير إلى الحالة الأولى (الحياة)، كما تُلمِّح إلى القبر المحفور، وتستدعي صورة الطريق الموطوءة بالأقدام[1]، يُقال: رجع فلان إلى حافرته، أي: في طريقه التي جاء فيها فحفرها، أي: أثر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرًا، أي: لأنَّ قدميه جعلتا فيها أثرًا مثل الحفر، وأشار إلى أنَّ وصفَ الطريق بأنَّها حافرة على معنى ذات حفر، وجوز أن يكون على المجاز العقلي كقولهم: عيشة راضية، أي: راضٍ عائشها، ويقولون: رجع إلى الحافرة؛ تمثيلًا لمن كان في حالة، ففارقها، ثم رجع إليها، فصار: رجع في الحافرة، ورد إلى الحافرة، جاريًا مجرى المثل[2]، وهو مناسبٌ جدًّا لمفردة الردّ، فإنَّ الرّدَّ يدلُّ على الرَّدِّ في طريقٍ حفرتْهُ الأقدام، فرُدَّ فيها.

كما أنَّ الحفر صفةٌ لأرض الدّنيا، فطريق الحياة والبقاء في حفر الأرض بعمقٍ لاستخراج مائها من آبارها، وحفر سطحها لحرثه وبذره، فصار اللفظُ صورةً مركَّبة توحي بالرُّجوع إلى ما كان، وتجمع مشهدَ الحياة والموت معًا، وجاءت صيغة اللفظ منسجمةً مع الألفاظ الواردة في السّورة كالرّاجفة، والرّادفة، "والحافرة، قيل: فاعلة بمعنى مفعولة، وقيل: على النسب، أي: ذات حفر، والمراد الأرض"[3].

(1) الواحدي، البسيط: 23/ 178.

(2) الراغب، المفردات: (حفر)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 70.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 364.

علَّة فصل جملة الاستفهام:

توكيد الإنكار التّعجبي بمثله تصعيدٌ في الخطاب

فصل النظم الجليل الجملة في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾؛ لإبراز الإنكار وتأكيد الاستبعاد، فالاستفهام توكيدٌ للسّابق؛ إذ صوِّرَ الردُّ والبعث مقرونًا بأقصى أحوال البِلى والفناء، فجاء الفصل لتقوية معنى الاستبعاد والتعجّب، وليجعل السياق أوضح في إظهار بعد الحياة عن العظام النّخرة[1].

غرض الاستفهام ودلالته:

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾؛ لتأكيد الإنكار الأول في قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾.

نكتة التَّعبير بالظرفيَّة:

الظرف يصوّر مناط الاستحالة الموهومة

استعمل النّظم الجليل الظّرف الزّمانيّ (إذا) في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾؛ لإبراز موضع الإنكار والتعجّب، فجعل الزمن (إذا صرنا عظامًا بالية) هو مدار الاستحالة عند الكافرين، أي: إنَّهم ربطوا استبعادَ البعث بلحظة البِلى والفناء، فكان الظرفُ أوقعَ في تصوير التّعجّب والإنكار من مجرد ذكر الحال دون ظرف[2].

نكتة التَّعبير بفعل الكون دون الصَّيرورة:

فعل الكون يرسّخ الحال، فيُؤكّد الرجوع

آثر النّظم الكريم التّعبير بالفعل ﴿كُنَّا﴾ دون الفعل (صرنا)، في قوله جلّ شأنه: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾؛ للدلالة على أن البِلى والتحول إلى عظام نخرة قد صار حالًا ثابتًا وجِبلةً لهم[3]، لا مجرد انتقال عابر، فـ"الكون" يصوّر الحالة على أنها تحقق قائم وواقع لا رجعة فيه في نظر المنكرين، مما يزيد الإنكار شدّةً ويجعل دعوى البعث في تلك الحال أبعَد عن التصديق.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 98.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 70.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 225.

فائدة تنكير ﴿عِظَٰمًا﴾ وجمعها:

توسيع مشهد البعثِ لإظهار الاستحالة

آثر النّظم الكريم تنكير لفظ العظام في قوله جلّ شأنه: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾؛ ليجعل المعنى عامًّا وشاملًا لكل العظام، وليشمل الخلقَ كلَّهم، فالصورة تتسع لجميع البقايا البشرية بعد البلى، فهو يظهر شدّة إنكار المنكرين، ويُبرز ظنّهم باستحالة العودة للحياة.

بلاغة استعمال مفردة ﴿نَّخِرَةً﴾:

شـــدّة البـلى والتّفتّت تُحيل البعثَ في ظنّ المنكرين

آثر النظم الكريم استعمال مفردة ﴿نَّخِرَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾؛ لما فيه من تصوير دقيقٍ للبلى والهلاك، فالنّاخر هو البالي الأجوف الذي يسمع له نخير؛ إذا مرّت خلاله الرّيح[1]، والنّخرة صفة مشتقة من "نخر العظم"، أي: فرغ الوسط وأصبح أجوفَ، وجاء التأنيث مراعاةً لموصوفه جمع التكسير؛ لتصبح الصورة حيّة وملموسة، وبهذا يُصوِّر اللفظ أن العظام صارت في غاية الانتهاك، حتى أن الأجوف منها يسمع له صرير الريح، مما يزيد من بيان شدّة إنكار المنكرين للبعث، فهو حالة أقرب إلى الاستحالة في تصوّرهم[2]، وجاء التّعبير بصيغة (فَعِلَة)؛ لبيان شدّة البلى، فهي في غاية الانتخار والتّفتّت[3].

بلاغة الإيجاز بحذف جواب الشَّرط:

الإيجـاز بحذف الجـواب ظاهرةُ تـــرابـــطٍ بين الجمل

جاء التعبير بأسلوب الشّرط في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ محذوفَ الجواب، وجاء ذلك طلبًا للإيجاز وتقوية الصورة، أي: نرد إذ ذاك إلى حالتنا الأولى ونقوم كما كنا؟ والعامل فيه يدل عليه ﴿لَمَرْدُودُونَ﴾، أي: أئذا كنّا عظامًا باليةً نُردّ، ونبعث مع كوننا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 98.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 70.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 225.

أبعد شيء عن الحياة[1]، فصار الحذف وسيلة بلاغية لتأكيد المعنى بادّعاء أنّ استحالته ظاهرة، فهو تعبير أوجز.

علّة فصل جملة القول:

سـردُ أقـوال الـكـافـريـن احتجاجٌ عليهم

فصل النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾؛ إمّا لأنّها بدل اشتمال من جملة: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾[2]؛ لزيادة توكيد قولهم، وإمّا أن تكون استئنافًا مسوقًا لحكاية كفرٍ آخرَ متفرّعٍ على كفرهم السّابق[3]، وأيًّا ما يكن سبب الفصلِ؛ فهو داخلٌ في تعداد كفرهم وجرمهم، وأنَّه جرمٌ عظيمٌ، وهذا الفصل البلاغي يوضح أن القول الثّاني هو قولٌ للكافرين، وأنّه مستقلّ عن الأوّل، ويمنع التباس كونه استئنافًا من جانب الله تعالى[4].

نكتة تكرار فعل القول:

إظـهـار تـنـوُّع مـقـاصـد الـكـافـريـن في أقوالهم

آثر النّظم الكريم تكرار فعل القول: ﴿قَالُواْ﴾؛ ليُظهر تعدّد المقاصد في أقوال الكافرين، فالقول الأول كان غرضه الإنكار والإبطال، أمّا القول الثاني؛ فغرضه الاستهزاء والسخرية؛ إذ وصفوا الكرّة بالخسران من باب الافتراض والتّقدير.

دلالة التّعبير بصيغة الماضي:

الإصـرار على الكفر، ومفاصلةُ الحقّ

جاء التّعبير بصيغة الماضي: ﴿قَالُواْ﴾ دون المضارع: (يَقولونَ)؛ وذلك للإيذان بأنّ قولهم هذا لم يصدر عنهم بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة أوقاتهم[5].

دلالة التّعبير باسم الإشارة للبعيد:

الإشارة إلى بُعْد البعث تأكيد للإنكار

آثر النّظم الجليل استعمال اسم الإشارة الدّالّ على البُعد في

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 364.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 70.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 364.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 71.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 98.

قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾؛ للتّعبير عن الردّة إلى الحياة بعد الموت؛ إيذانًا بما في زعمهم من غرابة وبُعدٍ عن المعقول[1]، فالبُعد هنا بُعد معنوي لا مكاني، يراد به استبعادهم للبعث واستعظامهم له، وجاءت الإشارة مؤنثةً لمطابقة خبرها ﴿كَرَّةٌ﴾، وأيضًا قُدّمت على حرف الجواب ﴿إِذَا﴾؛ للعناية بموضع الإشارة، وكشف عمق استهزائهم[2].

دلالة التّعبير بـ﴿إِذَا﴾:

عبّر النّظم الجليل بحرف الجواب ﴿إِذَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾؛ جوابًا لكلامهم السابق، ليجعل من دعواهم نتيجةً حتمية لخيبتهم[3]، فهم قدّموا بكلام ثم استنبطوا في ختامه نتيجةً عجيبةً وهي خسران الكرّة، وذلك إيهامٌ لعقولِهم الباردة بأنّهم يُفكِّرون، ويتأمّلون، فأنتج فكرهم تلك الخيبة العقليّة.

المنكر يُحاول إيهام الآخرين بقدرته على استنباط المعاني

دلالة التّعبير بمفردة الكرّة:

عبّر النّظم الجليل بلفظ الكَرَّة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾؛ لتصوير الرجوع بعد الذهاب، الواحدة من الكرّ، وهو الرجوع بعد الذهاب، أي: رجعة[4]، فالكرّة أن ترجع مرّة تلو الأخرى، ففيها تكرار الرجوع، فدلَّ كلامهم على تهكُّمهم بالرجوع، لافتراض تكراره.

رجوع إلى الحياة يسفر عن خسران المنكرين

بلاغة الاستعارة في لفظ ﴿خَاسِرَةٞ﴾:

آثرَ النّظم الكريم استعمالَ مفردةِ الخسران، وأصله نقص مال التجارة التي هي لطلب الربح، أي: زيادة المال، فاستعير في قوله تعالى: ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾؛ لمصادفة المكروه غير المتوقع[5]، أي: إنَّهم في

الخسارة خسارة العقل الدّال على الحقّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 225.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 71.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 71.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 71.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 72.

حال تحقّق ذلك فما سيجدونه مكروه غير متوقع؛ لما سينشأ عنه من نقصانِ الخير.

غرض تقديم اسم الإشارة على حرف الجواب:

قُدِّم اسمُ الإشارة ﴿تِلْكَ﴾ على حرف الجواب ﴿إِذَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ للعناية والاهتمام بالمشار إليه، والتّقدير: إذًا تلك كرّة خاسرة[1].

بلاغة المجاز العقليّ في وصف الكرّة بالخسران:

ثقةُ المنكِر بقيله أوردته المهالك

وصف النّظم الجليل الكرّة بالخسران في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ على طريقة المجاز العقلي للمبالغة، فالكرّة لا تخسر؛ لأنَّ الخاسرَ أصحابها، والمعنى: إنّا إذًا خاسرون لتكذيبنا وتبين صدق الذي أنذرنا بتلك الرجعة[2]، ووصفها بالخسران؛ ليبرز استحالة النفع، والمراد أنّ أهلها خاسرون، كما يُقال: تجارة رابحة، أي: يربح أصحابها، فمعنى ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: يخسر فيها صاحبها[3].

نوع الفاء ودلالتها:

إنـهـاء قيل المنكرين بزجرٍ يُلائم سياق الآية

افتتح النّظم الجليل الجملة بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، وهي الفاء الفصيحة للتفريع على إنكارهم البعث، كما عبّر عنه قولهم السّابق في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾، وتقدير الكلام: لا عجب في ذلك، فإنّما هي زجرة واحدة، فإذا أنتم حاضرون في الحشر[4]، وقد اختصرت الفاء الألفاظ، وأوجزت في التعبير، ليتلاءم ذلك مع سرعة الزّجر وفجاءته.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 71.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 72، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 267.
(3) الواحدي، البسيط: 23/ 181.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 72.

بلاغة القصر بـ(إنّما):

زجـرةٌ واحـدة كفيلةٌ بـالـردَّةِ القاضية

جاء استعمال أسلوب القصر بأداة (إنّما)، في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، وهو قصر حقيقي، يُراد منه تأكيد الخبر، وذلك بتنزيل السامع منزلة من يعتقد أنَّ زجرةً واحدة غير كافية في إحيائهم، وتقدير الكلام: فما هي إلّا زجرة واحدة؛ فإذا أنتم حاضرون في الحشر[1]، فأفاد القصر الحقيقي تأكيد كفاية الزّجرة الواحدة في تحقيق الإحياء على خلاف ما يتوهّمه المنكرون، بأنَّ الأمر أصعب من ذلك وأعسر، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27].

بلاغة التّعبير بالضمير:

البعثُ يُعرف حتمًا لا احتمالًا

جاء المسندُ إليه ضميرَ غيبة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؛ ليُقدّمَ الإجمالَ، ثمّ يُتبعه بالبيان، وجاء مؤنثًا؛ ليحسن عوده إلى كلمة زجرة، وهذا الأسلوب من أبلغ وجوه ضمير الشّأن[2]، ولذلك ترك التصريح بالبعث والقيامة، ولتنزيل القيامة منزلة ما يُذكر إجمالًا، فيُعرف حتمًا لا احتمالًا.

بلاغة استعمال مفردة ﴿زَجْرَةٌ﴾:

صـوتُ الـزّجـرِ مـشـوبٌ بـالـغـضـبِ والشدّة

عبّر النّظم الجليل بلفظ الزّجرة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؛ للدّلالة على الصّيحة التي تنهضهم من قبورهم، والزجر هو الكلام الذي فيه أمرٌ أو نهيٌ في حالة غضب، يُقال: زجر البعير؛ إذا صاح له لينهض، أو يسير، وعبر بها هنا عن أمر الله بتكوين أجساد الناس الأموات؛ تصويرًا لما فيه من معنى التسخير لتعجيل التكوّن، وفيه مناسبةٌ لإحياء ما كان هامدًا كما يُبعث البعير البارك بزجرة ينهض بها سريعًا؛ خوفًا من زاجره، وقد عبر عن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 72.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 72.

ذلك بالصيحة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: 42]، وهو الذي عبَّر عنه بالنفخ في الصور[1]، والزّجر صوتٌ، كما أنَّ الصيحة صوتٌ، لكنَّ صوت الزّجرِ مشوبٌ بالغضبِ والشدّة.

نكتة تنكير لفظ ﴿زَجْرَةٌ﴾ ووصفها بواحدة:

صيحة زاجرةٌ عن البقاء في القبور تُحيل الموتى أحياءً

جاء التّعبير بصيغة مصدر المرّة ﴿زَجْرَةٌ﴾؛ للدّلالة على أنّ زجرة واحدة كافية في إعادتهم للحساب، ووصفت الزّجرة بأنّها واحدة؛ لتأكيد ما في صيغة المرّة من معنى الوحدة، فالأمر لا يقتضي سوى صيحة واحدة لا أكثر، ينهضون بعدها من قبورهم للحساب والجزاء، ولا يسعهم التّردّد أو التّأخّر[2]، وفي التّنكير تفخيمٌ لشأنها وتعظيم لأهوالها، فهي زجرةٌ واحدةٌ لا يعلم الخلق لها مثيلًا من قبل أو بعد.

دلالة الفاء الدّاخلة على (إذا):

الزّجرة تُحرّك الخلائق حركةً كونيّة فريدة

افتتح النّظم الجليل الجملة بالفاء الدّاخلة على (إذا) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾؛ للدّلالة على أنّ النّفخة ستُسبّب مفاجأتهم بغاية السّرعة بإحيائهم وبعثهم من القبور، فالفاء دلّت على السّببيّة، وإذا دلّت على المفاجأة[3]، وفي ذلك بيانٌ لسرعةِ وقوعِ الزجرة وأثرها الكوني في الخلائق، فلا فاصل بين الزّجرة وبين خروج الخلائق من القبور، وانسيابهم نحو السّاهرة.

بلاغة استعمال الضَّمير المنفصل:

إبراز مفاجأة الإحياء وتصوير الحاضرين

جاء المسند إليه ضميرَ غيبة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾؛ ليدلَّ على المفاجأة والاهتمام بحال المنكرين للبعث، فهو

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 72.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 268.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 227.

يذكرهم على أنَّهم سيحضرون حضورًا مفاجئًا على وجه الأرض، وقد أُبرِز إبرازًا مستقلًّا يُشدّ الانتباه إليه، فيقوّي مشهدَ البعثِ حتّى كأنّ السّامع يراهم رأيَ العين.

نوع الباء ودلالتها:

الباء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ للإلصاق، فهم ملتصقون بالأرض، وقيل: ظرفية، أي: إذا نفخ حصلوا بالأرض أسرع شيء[1].

سرُّ إيثار التَّعبير بـ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾:

من عبث في إنكار البعث وسهر طربًا؛ سيأتي مزجورًا مقهورًا

آثر النّظم الكريم التّعبير بالسّاهرة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾، والمراد بها وجه الأرض وسطحها، والعرب تسمّي وجه الأرض من الفلاة ساهرة، أي: ذات سهر؛ لأنّ النّاس يسهرون فيها خوفًا منها لوحشتها[2]، وهي الأرض المستوية التي لا نبت فيها جعلها الله تعالى يوم القيامة لجمع النّاس وحشرهم للحساب[3]، وفيه تهكمٌ بالمنكرين للبعث؛ لأنّهم كانوا يستمتعون في الأرض، ويلهون سهرًا وطربًا، فذكر الوصف المذكِّر لعبثهم في إنكار البعث، أو لبيان أنَّ السّهر شديد وطويل.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّجفة والزّلزلة:

الرّجفة أخصّ من الزلزلة، فهي زلزلة شديدة

الرّجفة هي الزّلزلة العظيمة، فيُقال: زلزلت الأرْض زَلزَلَة خَفيفَة، ولا يُقال: رجفت الأرض إلّا إذا كانت قد زلزلت زَلْزَلَة شديدة[4]، وعبّر في الآية الكريمة بلفظ الرّجفة دون الزّلزلة؛ لبيان شدّة الزلزلة على ما يقتضيه السّياق في الرّدّ على إنكار المنكرين ببيان شدّة الهول وقوّة الزّلزلة.

(1) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 449.
(2) الواحدي، البسيط: 23/ 184.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 73.
(4) العسكري، الفروق، ص: 301.

الوجيف والاضطراب:

الوجيف والاضطراب الشّديد والاضطراب أعمّ منه

الاضطراب: الحركة، واضطرب أمرُه: اختلَّ، والموج يضطرب، أي: يضرب بعضُه بعضًا[1]، واضْطَرَبَ: تَحَرَّكَ وماجَ، واضطَرَبَ البرقُ في السَّحابِ: تَحَرَّكَ[2]، أمّا الوجيف؛ فأصله يدلّ على خِفّة حركة الشّيء ومباعدته مقرّه[3]، ووجف الشّيء، أي: اضطرب[4]، والوَجْفُ: سُرْعَةُ السَّيْرِ[5]، فأخذ من السّرعة شدّة الاضطراب، قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، أي: مضطربة[6]، والمراد به في الآية الكريمة: خائفة، شديدة الاضطراب[7]، فعبّر في الآية بالوجيف؛ للدّلالة على شدّة الاضطراب.

نخرة وبالية:

النّخرة أخصّ من البالي، فهي ما بلي حتّى تجوّف

النّخير: صوت يخرج من المنخرين، والنّاخر: الذي تدخل فيه الرّيح، وتخرج منه، ولها نخير، والعظم النّخِر بلِيَ حتّى تجوّف، فتدخله الرّيح، ويكون لها عند ذلك نخرة، أي: صوت[8]، وقوله تعالى: ﴿كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾، أي: بالية، من قولهم: نخرت الشّجرة، أي: بليت حتّى سمع فيها نخير الرّيح، أي: صوتها[9]، فالنّخرة هي العظام البالية حتّى تجوّفت، وأصدرت الرّيح بمرّها خلالها صوت النّخير، وعبّر في الآية بلفظ النّخرة؛ لاستدلالهم بشدّة البلى على استحالة الإحياء على ما اعتقدوه من الباطل.

(1) الجوهري، الصحاح: (ضرب).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ضرب).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وجف).
(4) الجوهري، الصحاح: (وجف).
(5) ابن عباد، المحيط في اللغة: (وجف).
(6) الراغب، المفردات: (وجف).
(7) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 195، وابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 449.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نخر).
(9) السمين، عمدة الحفاظ: (نخر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"